

تعلّم اللغة بين القواعد والمفردات

-مقاربة لسانية-

*Language Learning between Grammar and Vocabulary
-Linguistic Approach-*

د. الخثير داودي

قسم اللغة والأدب العربي -المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف - ميلة -الجزائر-

d.khatir@centre-univ-mila.dz

تاريخ الإيداع: 2020/10/01 تاريخ القبول: 2021/04/22 تاريخ النشر: 2022/03/15

ملخص:

تهدف هذه الورقة العلمية إلى تبيان أهمية القواعد في عملية التواصل اللغوي، وهذه القواعد هي الشبكة العضوية التي تتحكّم في النظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام النحوي للغة، أما المفردات فهي كلمات ذات دلالات يتكوّن منها المستوى المعجمي، بحيث أنّ تعلّم لغة ما، لا يعتمد على حفظ المادة المعجمية؛ وإنما يعتمد أساساً على تعلّم نظامها اللغوي الذي يحكمه العرف الاجتماعي. فالقواعد هي التي تخلق تناغماً بين حروف الكلمة الواحدة، وتخلق تكاملاً بين مختلف التراكيب اللغوية، فبالقواعد تصبح للغة خصائص لسانية ووظائف اجتماعية، وبالمفردات يصبح للغة معاني ودلالات.

الكلمات المفتاحية: التعلّم - اللغة - القواعد - المفردات - المعاني - التحليل - التركيب.

Abstract:

This paper aims to show the importance of grammar in the process of language-based communication. These rules are the organic network that controls the phonemic system, the morphological system, as well as the grammatical system of a language. As far as vocabulary is concerned, it refers to words having meanings that make up the lexical level. Learning any language does not depend on memorizing lexical entries; rather, it depends mainly on learning its language system which is governed by the social norm. The rules are what create a balance between the letters of a single word whereas grammar is what creates complementarity between the various linguistic structures. The grammar rules do give a language its linguistic

properties and social functions. Vocabulary, on the other hand, gives language meanings and connotations.

Key words: (Learning - Language - Grammar Rules - Vocabulary - Meanings - Analysis - Construction)

تمهيد:

إنّ منظومة أيّ لغة قائمة على مستويين، أو بعبارة أندري مارتيني André Martinet لها تمفصل مزدوج double articulation، وهذا التمفصل يتجلى في مستوى الوحدات الدالة على المعنى، وهي المورفيمات morphemes أي الكلمات بصفة عامة، ومستوى الوحدات الصوتية التي لا معنى لها وإنّما تحمل وظيفة تمييزية، وهي الفونيمات phonemes. وتشتمل على الصوامت أي الحروف، مثلما تشتمل على الصوائت؛ أي (الحركات الإعرابية).

أما عدد الفونيمات phonemes التي يتعامل بها أبناء الجماعة اللغوية الواحدة فهي محدودة، بحيث أنّ أكثر اللغات تتعامل بحوالي ثلاثين رمزاً صوتياً، وتعتمد كل اللغات الإنسانية مجتمعة ما لا يزيد على خمسين رمزاً صوتياً لكل لغة منها نصيب، ولكن هذه الرموز المحدودة تعبر في كل لغة من هذه اللغات الكثيرة عن أكثر ما يريد الإنسان التعبير عنه في كل مجالات الحياة والفكر. إنها ثلاثون رمزاً تقريباً في كل لغة من اللغات تكوّن آلاف الكلمات ثم ملايين الجمل لنقل ملايين الملايين من المعاني وظلال المعاني. وتكوّن هذه الرموز الصوتية المحدودة بنية اللغة باتخاذها عدة أنساق محددة¹.

فالكلمتان "كَاتِبٌ وكتَابٌ" تتكونان من الصوامت والحركات نفسها، الصوامت هنا: "الكاف والتاء والباء"، والحركات هي: "الكسرة والفتحة وحركة الإعراب"، غير أن هذه الحركات تتخذ في الكلمتين السابقتين نسقين مختلفين. واستخدام الرموز الصوتية المحدودة في كل لغة من لغات الأرض في أنساق مختلفة أتاح لها أن تكوّن الآلاف الكلمات².

إنّ محدودية فونيمات اللغة تسمح بتحقيق العملية الإبداعية للغة وجعل بنيتها اللسانية مفتوحة، فمن 28 فونيماً فقط في اللغة العربية مثلاً، يعطينا الملايين من الكلمات التي بدورها تعطينا عدداً غير نهائي من الجمل والتراكيب؛ وهذا يعتبر امتياز لساني للغة، لأنّ محدودية الحروف تسهّل عملية تخزين اللغة في دماغ الإنسان. فعندما نذهب مثلاً: اللغة الصينية فهي لغة صوريّة أي تتكون من حروف بلا أبجدية، وكل حرف منها يمثل معنى ثابتاً أو فكرة، وهي تزيد على 47

ألف رمز، لكي تقابل العدد الكبير من المعاني والمفاهيم في اللغة، ورغم أنّ اللغة الصينية بسّطت في نحو 4000 رمز مازالت لغة يصعب احتواها وتعلّمها.

أما كيفية عرض اللغة للمعنى؟ فإننا نجد كل لغة تعرض "المعاني" بطرق خاصة، ونحن نتلقى هذه المعاني مرتبة بالترتيب الذي يقدمه إلينا الكلام في الصور اللفظية التي يظهر بها الكلام. إن المتكلم العربي عندما يريد أن يعبر عن "إزهار الشجرة" مثلاً، يقوم في ذهنه بعمليات عقلية ترتد إلى عمليتين أساسيتين، وهما³:

1- العملية التحليلية: فهي تلك التي يميز بها العقل بين عدد معين من العناصر التي تنشأ بينها علاقة معينة، وهي في مثالنا هذا "الشجرة" و"الإزهار".

2- العملية التركيبية: فهي تلك التي يركب بها العقل بين هذه العناصر المختلفة لتكوين الصورة اللفظية، "الشجرة مزهرة".

فنحن في العربية مثلاً نأتي بالموصوف أولاً ثم نتبعه الصفة فنقول "المطر الغزير"، ولكن "عقلية" الرجل الإنجليزي عندما تريد التعبير عن هذه الفكرة لا تتصور إيراد الكلمة الدالة على "المطر" أولاً، إن أول ما تتصوره هو الصفة الدالة على غزارة المطر فيقول *The heavy rain*⁴. وهكذا تصدق تلك العبارة التي أوردها جوزيف فنديريس في كتابه: "اللغة"⁵، أننا "نفكر بجمل"⁶.

إن كل متكلم بلغة من اللغات تتكون لديه، من تعلمه للغته ومن ممارسته لها، نظم عقلية خاصة فيما يتعلق بتأليف الجمل، وإنه ليألف هذه النظم، كما يألف نطق أصوات لغته ونماذج مقاطعها، وتصدر عنه نماذج تأليف الكلمات في جمل بطريقة لا شعورية. إنه لا يتوقف ليتساءل كيف يرد بالنفي أو الإثبات عن هذا السؤال... إلخ، إن هذا النظم من تأليف الكلمات يصدر عنه حال إرادته، وهكذا يتم التواصل اللغوي بهذه السرعة التي نعهدها.⁷

والحقيقة أنّ اللغة مجموعة من النظم *Polysystemic* المركبة والمعقدة من شبكات صوتية و صرفية ونحوية وبلاغية متماسكة ومتكاملة، وهذه النظم بفضل تناسقها تصبح وعاءً للفكر، والفكر "في اللغة الطبيعية بنية معلومات مرمّزة في الذهن البشري"⁸.

أما التساؤل الذي نهدف الإجابة عنه في هذه الورقة؛ وهو أنّه ما دام أنّ اللغة منظومة لسانية متكاملة من قواعد ومفردات، فالقواعد هي التي نجدها في النظام الصوتي والنظام الصرفي والنظام النحوي، أما المفردات فهي التي يتكوّن منها المستوى المعجمي، فتساؤلنا هو:

- ما هو الأهم في التواصل اللغوي تعلّم القواعد أم حفظ المادة المعجميّة ؟
- وهل من يحفظ مفردات قاموس Larousse مثلاً: يستطيع أن يتكلّم الفرنسية بطلاقة ؟

يرى المفكّر السعودي ابراهيم البليبي⁹ في نظريته "تلقائية الإنسان"؛ أنّ الإنسان بصفته الجماعية حين كان طليقاً وتلقائياً غير مؤطر ومدفوعاً بالحاجة الملحة قد استطاع أن ينشئ اللغة من العدم، فإنّ الطفل أيضاً بعد ولادته يملك نفس القابلية مما يتيح له أن يتشرب اللغة تشرباً تلقائياً بالمحاكاة والمعاشة والتفاعل المباشر فيتطبّع بها كنظام وليس كمفردات ومادام أنه قد تبرمج تلقائياً بالنظام اللغوي الخاص ببيئته فإنه يستطيع أن يفهم وأن يفهم وأن يركب الجمل بأشكال لا حصر لها¹⁰. وذلك بفضل استعداده الفطري المغروز في صميم طبيعته البشرية.

إنّ الطفل يفهم اللغة التي تبرمج بنظامها مهما كان محصوله ضئيلاً من المفردات لأنه يستطيع سد الفجوات وبالمقابل فإنّ من يعرف من الكبار مفردات كثيرة من لغة أجنبية لن يستطيع تركيبها في جمل ولن يفهم ما يقال له بها لأنه يعرف معاني المفردات لكنّه لا يعرف النظام اللغوي الذي تنتظم به هذه المفردات فاللغة هي بشكل أساس نظام. أما المفردات فهي مادة لاستخدام النظام فالذي يتشرب هذا النظام يملك اللغة وتنمو المفردات معه تلقائياً بالمحاكاة وبالمران والقراءة ولكن سهولة التشرب التلقائي للغة في الطفولة تنقلب إلى معاناة حين يحاول أن يتعلّم قصداً لغة أجنبية بعد أن يكبر لأنّ الإنسان كائن تلقائي¹¹، يؤثر عليه البعد النفسي والبعد الاجتماعي.

إنّ الطفل الذي يكتسب تلقائياً أكثر من لغة إذا عاش مع أبوين مختلفي اللغة ويكتسب لغة¹² ثالثة ورابعة تلقائياً إذا كان أبواه يعيشان أيضاً في بيئة متعددة اللغات ولكن هذه القابلية التلقائية تتلبك وتحرن وتنسد إذا أريد تعليمه قصداً وليس عن طريق المعاشة التلقائية والتفاعل العفوي، بل إنّ الأطفال لا يستطيعون أن يتعلموا لغة أجنبية من التلفزيون أو الفيديو مهما طال جلوسهم أمامه رغم أنهم يكونون مشدودين إليه ومستمتعين به !! لأنّ اللغة ليست مفردات وإنما هي نظام لا بد من أن يتشربه الطفل تشرباً تلقائياً¹³. ابتداءً من أسرته، ومروراً بمحيطه، ووصولاً إلى مدرسته، فهذه أبرز العوامل المؤثرة على التشرب التلقائي للنظام اللغوي عند الطفل.

إنّ اللغة ليست مجموعة من المفردات وإنما المفردات مجرد لبنات في البناء اللغوي الهائل العجيب، فاللغة نظام ومع ذلك فإنّ هذا النظام مفتوح إلى ما لا نهاية ولكنه انفتاح ضمن إطار وقواعده فلا يوجد أي حد لتكوين الجمل ولا نهاية لتعدد الأساليب ضمن الإطار الذي تحدد

تلقائياً¹⁴. ومعنى اللغة نظام أي نسق متكامل من تضافر القرائن المعنوية واللفظية للبنية اللسانية للغة في جميع مستوياتها.

إذن؛ بناءً على قاعدة تلقائية الإنسان، فالأهم في اكتساب لغة ما، فهو أن يتبرمج نظامها في عقل المتعلّم، بحيث يجب أن يتوقّر للمتعلّم بيئة لغوية لينغمس فيها، أهم بكثير من تعليم نظامي صارم، ولعلّ في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حجّة كافية، حينما قال: "أنا أفصح العرب، بَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ، وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ"¹⁵. وقريش وبنو سعد بن بكر قبيلتان فصيحتان من العرب العرباء خرج منهم أغلب البلغاء من الشعراء والخطباء، وهذا بحكم التجانس اللغوي الذي تتمتع به بيئتهما. لأنّ العلاقة بين الجماعة واللغة علاقة ثنائية الاتجاه... فلغة الجماعة تفرض نفسها عليها، مهما ضعفت صلتهما بتلك اللغة¹⁶. فاللغة يحكمها العرف الاجتماعي لا المنطق العقلي.

- نظام اللغة أهم من مفرداتها لمن أراد اكتسابها:

إن المهم في اللغة هو نظامها¹⁷ وليس مفرداتها فالطفل يستطيع التفاهم مع غيره والتعبير عن حاجاته ورغباته وشكواه وطلباته حتى لو كان مجموع المفردات التي يحفظها قليلاً لأنه قد تشبّع تلقائياً بالنظام اللغوي الذي نشأ عليه وتبرمج به وبالمقابل فإن الإنسان البالغ الذي يحفظ محصولاً كبيراً من المفردات من لغة أجنبية لا يستطيع التحدّث ولا أن يفهم ما يقال حتى يتعلم نظام اللغة، فالمعوّل عليه هو النظام اللغوي أما المفردات فهي تفاصيل داخل النظام¹⁸. هذا هو التصور الصحيح والأساسي الذي ينبغي أن ننطلق منه في تعلّم اللغة وتعليمها.

إن الأميين من مختلف الأمم يستخدمون هذا النظام بكفاءة تلقائية وأحياناً بكفاءة عالية من غير أن يعرفوه لأنهم تبرمجوا به تلقائياً ومثل ذلك يقال عن الشعراء الذين أبدعوا الأشعار قبل ابتكار علم العروض وحتى بعد ابتكاره فإنهم يُبدعون الشعر من غير أن يتعلموا العروض فالشعر إبداع لغوي تلقائي لذلك يجيده الأميون فالشعر محكوم بصرامة في أوزان محددة ولكنه ينساب تلقائياً بأوزانه الدقيقة من غير أن يحاول الشاعر أن يتحقق من الأوزان فرغم أن بحور الشعر متعددة فإن القصيدة حتى من الشاعر الأمي تأتي ملتزمة تلقائياً ببحر من هذه البحور فالشاعر يتدفق تلقائياً بنفس الأوزان رغم اختلاف الكلمات طولاً وتركيباً¹⁹.

إن اختيار الكلمات أثناء تكوين اللغة للتعبير عن الأشياء والمسميات يأتي عشوائياً ولا يخضع لأي منطق فالشيء الواحد تتعدد أسماؤه بتعدد اللغات ولا يمكن أن يقال بأن التسمية في هذه اللغة هي الأقرب للعقل أو الأفضل لأن كل التسميات غير عقلانية ولا يمكن تخريجها منطقياً،

"فاللغة بجوهرها هي لغة تستمد حقيقتها من ذاتها وتقوم بذاتها قبل أن تستمدتها من أي شيء آخر أو تقوم بأي شيء آخر أن اللغة ليست عقلاً²⁰. فالعقل يتعامل مع اللغة ويدخل المعنى فيها ولكّنه لا يتدخّل فيها، لأنّ اللغة لها سيطرة غير شعورية على العقل.

كيف يدخل العقل في اللغة ؟

✓ أولاً: دخول العقل في مفردات الكلام، إنما يظهر في²¹:

- في عملية التقعيد الصرفي للكلمات التي تقبل هذا التقعيد أو تطلبه.
 - في عملية إدخال الكلمات الجديدة إدخال الكلمات الجديدة إلى القاموس.
 - في عملية تطبيق القواعد الصرفية على الكلمات.
 - في عملية اكتناه النظري لبني الكلمات التي تشملها قواعد الصرف.
- كل عملية من هذه العمليات، فهي عملية عقلية تجري في نطاق العقل، ولا تقوم إلا بالعقل، على الرغم من أن مضمونها لغوي واضح.

✓ ثانياً: دخول العقل في البنى التركيبية:

دخول العقل في اللسان على مستوى البنى التركيبية يظهر في ثلاثة أمور:

- التقعيد.
- اكتناه البنى.
- تطبيق القواعد المجردة العائدة للبنى، أو للعبارة.

■ مثال على دمغة العقل في تقعيد اللغة:

فإذا جننا إلى التقعيد، نأخذ مثلاً مسألة "التنازع"، بحيث كان النحاة ينطلقون من منطقهم العقلي أكثر من منطق اللغة، بحيث ذهب الكوفيون في إعمال الفعلين، نحو "أَكْرَمْتِي وَأَكْرَمْتُ زَيْدًا، وَأَكْرَمْتُ وَأَكْرَمِي زَيْدٌ" إلى أن إعمال الفعل الأول أولى، وذهب البصريون إلى أن إعمال الفعل الثاني أولى²².

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أن إعمال الفعل الأول أولى النقل، والقياس. أما النقل فقد جاء ذلك عنهم كثيراً، قال امرؤ القيس²³:

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَذْنِي مَعِيشَةً *** كَفَانِي، وَلَمْ أَطْلُبْ، قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ

فَأَعْمَلَ الفعل الأول، ولو أعمل الثاني لنصب "قليلاً". وأما القياس فهو أن الفعل الأول سابق الفعل الثاني، وهو صالح للعمل كالفعل الثاني، إلا أنه لما كان مبدوءاً به كان إعماله أولى؛ لقوة الابتداء والعناية به؛ ولهذا لا يجوز إلغاء "ظننت" إذا وقعت مبتدأة، نحو "ظننت زيداً قائماً" بخلاف ما إذا وقعت متوسطة أو متأخرة، نحو "زيد ظننت قائم، وزيد قائم ظننت" وكذلك لا يجوز إلغاء "كان" إذا وقعت مبتدأة نحو "كان زيد قائماً" بخلاف ما إذا كانت متوسطة، نحو "زيد كان قائم" فدل على أن الابتداء له أثر في تقوية عمل الفعل.²⁴ فتعليل الكوفيين نقلي وعقلي لا تكلف فيه.

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أن الاختيار إعمال الفعل الثاني النقل، والقياس. أما النقل فقد جاء كثيراً، قال الله تعالى: "أَتُونِي أَوْعِزْ عَلَيْهِ قِطْرًا"، (الكهف:96) فأعمل الفعل الثاني، وهو أفرغ، ولو أعمل الفعل الأول لقال: أفرغه عليه. وأما القياس فهو أن الفعل الثاني أقرب إلى الاسم من الفعل الأول؛ وليس في إعماله دون الأول نَقْصُ معنى، فكان إعماله أولى، ألا ترى أنهم قالوا: "خشنت بصدرة وصدر زيد" فيختارون إعمال الباء في المعطوف، ولا يختارون إعمال الفعل فيه؛ لأنها أقرب إليه منه؛ وليس في إعمالها نقض معنى؛ فكان إعمالها أولى. والذي يدل على أن للقرب أثراً أنه قد حملهم القرب والجوار حتى قالوا: "جُحِرُ ضَبِّ خَرِبٍ" فأجروا خرب على ضبِّ، وهو في الحقيقة صفة للجحر؛ لأن الضب لا يوصف بالخراب؛ فهنا أُؤَيِّ. ²⁵ لقد جمع البصريون بين حجة النقل وحجة العقل في تفسيرهم لباب التنازع، إلا أنهم تفوقوا على الكوفيين بحسن الاستشهاد من عربية القرآن الكريم.

ومن خلال هذا المثال في "باب التنازع"، ظهرت جلياً الدمغة العقلية المنطقية في تعليل الأحكام النحوية لدى النحاة العرب، ولكن عقل النحاة لا يستطيع أن يتدخّل في ويفرض وجوده في تشكيل البنية القواعدية للغة، "القواعد تنطلق من (هكذا قالت العرب) وتقف عند (هذا لم تَقُلْه العرب)".²⁶ وهذه قاعدة تعتبر من جوامع القواعد حول لغة العرب لا خلاف فيها.

أما إذا جئنا إلى كيفية تعلّم نظام اللغة ما لنستطيع التواصل بها مع الآخرين؛ فإنّ هناك العشرات من النظريات والمقاربات الحديثة التي تنظر لكيفية امتلاك قواعد لغة ما، ومن المقاربات اللسانية الحديثة في تعلّم اللغة وقواعدها، مقارنة التعلّم الضمني والتعلّم الصريح للغة "implicit and explicit learning of language"²⁷، وهما نمطان تعليميان جديان، ولا زالت الدراسات اللسانية الحديثة مختلفة حولهما، وذلك لتعقّد نظام اللغة، وكثافة علاقتها.

أما مفهوم التعلّم الضمني للغة *implicit learning of language*²⁸: فهو عملية استنباط المعرفة اللغوية بطريقة تلقائية غير شعورية وغير إرادية، ومن دون قصد ولا نيّة، ثم تصبح هذه المعرفة اللغوية المستقاة من ثقافة الارتجال والمشاهدة والتقليد والمحاكاة، سلوكاً لغوياً مهنيّاً، وعادةً ما يكتسب الرصيد المعجمي والنمط القواعدي المتحكّم فيه للغة الأم بالتعلّم الضمني؛ لأنّ طبيعة الإنسان التلقائية تستجيب لكل ما هو طبيعيّ وعفوي وتنفر من الرسمية. بحيث يتلعّن الفرد الكلمات الملفوظة والرسائل المدمجة في الموضوع المنغمس فيه، ويقوم العقل بالاستحواذ اللإرادي على أفكار ذلك الموضوع وقواعده، سواء كان ذلك الموضوع المنغمس فيه؛ في قراءة كتاب أو قصة، أو مشاهدة فيلم أو مسرحية، أو حتى في حوار مع الناس، والتعلّم الضمني للغة قد أشار له ابن خلدون (ت:808هـ) عندما قال: "وهذه الملكة إنّما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرّره على السّمع والتّفطن لخواصّ تراكيبه وليست تحصل بمعرفة القوانين العلميّة التي استنبطها أهل صناعة اللّسان"²⁹. إنّ هذا النص لابن خلدون يعتبر من جوامع القواعد لمن أراد أن يتعلّم اللغة ويمتلك نظامها في عقله ومفرداتها على لسانه.

أما مفهوم التعلّم الصريح للغة *explicit learning of language*³⁰: وهو التدريس النظامي للغة في المدرسة مثلاً، وهو تعلّم يكون عن إرادة ووعي ونيّة وقصد، فيتعلّم الفرد كل ما يتعلّق بقواعد اللغة، فيكتسب ذخيرة قواعديّة للغة الهدف، وذلك بمساعدة المدرّس الذي يقوم بمراقبة الخرج اللغوي كتاباً ونطقاً.

ومهما يكن؛ وكما يرى تمام حسان يبقى الكلام تطبيقاً على نظام اللغة، وأنه ديناميكي متحرك، شأنه في ذلك شأن كل تطبيق على أي نظام، كنظام المرور مثلاً، فهذا النظام يقتضي في جميع الحالات أن يكون السير على جانب معين من الطريق، وهذه قاعدة في النظام مطّردة ومطلقة، ولكن عملية المرور التي تتم طبقاً لهذا النظام، والتي هي في الواقع تطبيق أمين له يحدث لها أن تصادف بعض المشكلات أحياناً؛ كأن يكون الجانب المختار للمرور مشغولاً بإصلاح الطريق، فيتحتّم في هذه الحالة أن يتحوّل المرور إلى الجانب الآخر من الطريق على عكس ما يطلبه النظام، ولكن هذا يعتبر حلّاً من حلول مشكلات التطبيق³¹. بمعنى أنّ النظام اللغوي ثبوتي أما الكلام فإنه تنفيذ فردي يخضع للتعديل ونواميس التطور.

وفي نظم اللغة ما يشبه نظام المرور تماماً، كما أن في الكلام ما يشبه حركة المرور التي يحكمها هذا النظام. فالنظام الصوتي للغة يقرر مثلاً أن الدال مجهورة وأن التاء مهموسة، ويصر النظام على اطراد هذه القاعدة وإطلاقها، ولكن الكلام وهو التطبيق العملي لنظام اللغة قد يشتمل على دال ساكنة متبوعة بتاء متحركة وهنا نجد أن تجاوز الحرفين على هذا النحو يتسبب في صعوبة

عضوية تتحدّى محاولة المحافظة على ما قرره النظام، كما يتسبب التقاء المتقاربين دائماً في احتمال اللبس لو حاولنا في نطقهما عبثاً أن نرضي مطالب النظام؛ لأن جهر الدال الساكنة المتبوعة بتاء متحركة أمر ثقيل التحقيق في النطق، وهنا تظهر مشكلة من مشاكل التطبيق يحلها السياق بظاهرة الإدغام، فتكون الدال والتاء في النطق كالتاء المشددة تماماً "قعدت - قعت"³². بحيث أنّ وجود التباسات صوتية أو صرفية أو نحوية في النظام اللغوي، أوجد له النحاة تخریجات وتوجهات لسانية لفك اللبس الذي يتعلّق بالقواعد.

- من نتائج البحث، مايلي:
- إن المهم في عملية التواصل اللغوي هو نظام اللغة وليس مفردات اللغة، فلو أنّ شخصا ما حفظ الآلاف المفردات من قاموس *larousse* مثلاً؛ فإنه لا يتكلم الفرنسية بطلاقة، بينما الشخص الذي قد تشبّع تلقائياً بالنظام اللغوي للغة الفرنسية فإنه يستطيع التكلّم بها حتى لو كان مجموع المفردات التي يحفظها قليل.
- تعتبر البيئة أهم رافد على الإطلاق من روافد التكوين اللغوي، فإذا كانت البيئة سليمة لغوياً، فإنّ هذا الناشيء سوف يكون سليماً في تواصله اللغوي والفكري.
- هناك فرق بين اكتساب اللغة وتعلّم اللغة، الاكتساب عملية تحصيل اللغة بشكل طبيعي تلقائي، ومثال ذلك اكتساب الطفل للغة الأم، أم تعلّم اللغة فهي عملية تحصيلها عن طريق النظام التعليمي بمساعدة معلّم.
- القواعد هي شبكة عضوية من قرائن وعلائق وضمائم منها ماهو لفظي ومنها ماهو معنوي، تعم جميع مستويات اللغة وهي التي تتحكّم في نظام المباني وتنظيم المعاني الذهنية والنفسية، أما المفردات فهي ألفاظ أو حروف لها معاني مستقلة.
- إنّ تعقّد نظام اللغة نابع من كثافة علاقات اللغة، ومن صورية حدودها، ومن منطقية بعض أحكامها، ومن لا نهائية تعبيراتها.
- إنّ تعقّد نظام اللغة نابع كذلك من اتصال اللغة بالعالم الأعيان الخارجي وهو عالم الأغيار المحسوس؛ وبفضل اللغة يصبح هذا العالم المتحرّك له وجود في الأذهان، ووجود في اللسان، وأخيراً وجود بالكتابة.
- إنّ تعقّد نظام اللغة نابع كذلك من علاقة الاتصال والانفصال بين الدال والمدلول؛ لأنّ هذه العلاقة تحدد علاقة العقل بالواقع مباشر أم غير مباشر.

■ مرجع الإحالات:

- ¹ انظر: محمود فهى حجازى، علم اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (د، ط)، (د، ت)، ص:12.
- ² انظر: المرجع نفسه، ص:12، 13.
- ³ انظر: محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، ط2، 1997، ص:170.
- ⁴ انظر: المرجع نفسه، ص:169.
- ⁵ جوزيف فنديرس، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلى، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1950، ص:104.
- ⁶ أما نيتشه فهو يرى أننا نفكر داخل اللغة، فالكلمة هي التي تمنح للفكرة وجودها الحقيقي، وهذا رأي أغلب فلاسفة الفكر واللغة بدأً من أرسطو الذي يرى أنه: "ليس ثمة تفكير بدون صور ذهنية"، وهيجل الذي يرى أننا "نفكر داخل الكلمات"، وماكس مولر الذي يرى أن الفكر بالنسبة للغة: كالروح بالنسبة للجسد. وجان بياجيه الذي يرى أن الطفل يتعلم الكلام في نفس اللحظة التي يتعلم بها الفكر، بمعنى أن تكوين المعاني لدى الأطفال يتزامن مع اكتسابهم للغة، ونمو الفكر عند الطفل مرتبط بنمو رصيده اللغوي.
- ⁷ انظر: محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص:169.
- ⁸ انظر: غاليم محمد: هندسة التوازي النحوي وبنية الذهن المعرفية، كتاب آفاق اللسانية (تكريماً للأستاذ الدكتور نهاد الموسى)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2011، ص:25.
- ⁹ ابراهيم البليهي مفكر عربي سعودي معاصر لديه العديد من النظريات الفلسفية، من أشهرها: عبقرية الإهتمام، عبقرية الإبداع، تلقائية الإنسان... الخ.
- ¹⁰ انظر الرابط التالي: <http://www.okhdood.com>، بالتلقائية أنجز الإنسان ما لا يستطيع إنجازَه قصداً، ابراهيم البليهي، تاريخ الإقتباس: 2016/03/06.
- ¹¹ انظر الرابط نفسه.
- ¹² يفرق كريشن وهو أحد المحدثين الغربيين بين اكتساب اللغة وتعلّم اللغة، فيرى أن الاكتساب عملية تحصيل اللغة بشكل طبيعي تلقائي دون حاجة إلى تعلّم، ومثال ذلك اكتساب الطفل للغة الأصلية أو لغته الأم، أم تعلّم اللغة فهي عملية تحصيلها عن طريق النظام التعليمي بمساعدة معلم، وفيما يكون الاكتساب لا شعورياً، يكون التعلّم إرادياً قائماً على الوعي. انظر: نايف خرما، وعلي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلّمها، سلسلة المعرفة، 1988، ص:14، و ص:83، 84.
- ¹³ انظر الرابط التالي: <http://www.okhdood.com>، بالتلقائية أنجز الإنسان ما لا يستطيع إنجازَه قصداً، ابراهيم البليهي، تاريخ الإقتباس: 2016/03/06.
- ¹⁴ انظر الرابط نفسه.

- ¹⁵ ابن الفراء البغوي الشافعي (ت: 516هـ)، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، 1983، ج 4، ص: 202.
- ¹⁶ ثلاثية اللسانيات التّواصلية: سمير شريف استيتيه، عالم الفكر- مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، المجلد (34)، 3 يناير / 2006م، ص: 10.
- ¹⁷ يرى تمام حسان أنّ أنظمة اللغة ثلاثة وهي: النظام الصوتي، والنظام الصرفي، والنظام النحوي، أما المعجم فليس نظاماً، لأنّ من شروط النظام اللغوي أن العلاقات العضوية بين أجزائه، وليس للمعجم أية علاقة عضوية بين كلماته، ومن شروط النظام اللغوي صلاحيته للجدولة أي صورة جداول ذات أبعاد رأسيّة وأخرى أفقية تتشابه فيها العلاقات، والمعجم يفتقر لهذه الخاصية، ومن شروط النظام اللغوي صعوبة الاستعارة بالنسبة لوحدها من لغة إلى أخرى، فلا تستعار أداة ولا رتبة ولا صيغة، والمعجم يتميز بخاصية الاقتراض كما هو ملاحظ بين اللغات. انظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، مصر، ط 5، 2006 ص: 312، 313.
- ¹⁸ انظر الرابط التالي: <http://www.okhhood.com>، بالتلقائية أنجز الإنسان مالا يستطيع إنجازَه قصداً، إبراهيم البليهي، تاريخ الإقتباس: 2016/03/06.
- ¹⁹ انظر الرابط نفسه.
- ²⁰ أحمد الحاطوم، اللغة ليست عقلاً من خلال اللسان العربي، دار الفكر اللبناني، ط 1، (د، ت)، ص: 94. يرى جابر بن حيان في كتابه "ميزان الحروف": "أنّ اللغة تنبثق عن النفس، في ضوء الصلة التي تكون بين طبيعة اللغة وبين طبيعة الجسد، والتي تشبه في الوقت نفسه الصلة بين الوتر والنغم".
- ²¹ أحمد الحاطوم، اللغة ليست عقلاً من خلال اللسان العربي، ص: 96.
- ²² انظر: أبا البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط 1، 2003، ج 1، ص: 71.
- ²³ امرؤ القيس، ديوان، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة بيروت، ط 2، 2004، ص: 139.
- ²⁴ أبا البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ج 1، ص: 73.
- ²⁵ المرجع نفسه، ج 1، ص: 77.
- ²⁶ يوسف الصيدواوي، الكفاف (كتاب يعيد صوغ قواعد اللغة العربية)، دار الفكر، سوريا، ط 1، 1999، ص: 18.
- ²⁷ من أشهر الكتب التي ألفت في التفريق بين هذين المفهومين، كتاب: باتريك روبيشا، الموسوم، بّ التعلّم الضمني والتعلّم الصريح للغة.
- ²⁸ انظر: صالح ناصر الشويخر، قضايا أساسية في تعليم اللغة الثانية، دار وجوه للنشر والتوزيع، م.ع. السعودية، الرياض، ط 1، 2016، ص: 40، 41.
- ²⁹ انظر: ابن خلدون، مقدمة، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط 2، 1988، ص: 775.
- ³⁰ انظر: صالح ناصر الشويخر، قضايا أساسية في تعليم اللغة الثانية، ص: 40، 43.

³¹ اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 262.

³² المرجع نفسه، ص: ن.

■ قائمة المراجع المعتمدة:

✓ الكتب:

- أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: معي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2003.
- إبراهيم أبو هشيش وآخرون، آفاق اللسانيات (تكريما للأستاذ الدكتور نهاد الموسى)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2011.
- ابن الفراء البغدوي الشافعي (ت: 516هـ)، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، 1983.
- ابن خلدون، مقدمة، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1988.
- أحمد الحاطوم، اللغة ليست عقلاً من خلال اللسان العربي، دار الفكر اللبناني، ط1، (د، ت).
- امرؤ القيس، ديوان، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة بيروت، ط2، 2004.
- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، مصر، ط5، 2006.
- جوزيف فنديريس، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1950.
- صالح ناصر الشويخر، قضايا أساسية في تعليم اللغة الثانية، دار وجوه للنشر والتوزيع، م.ع. السعودية، الرياض، ط1، 2016.
- محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، ط2، 1997.
- محمود فهى حجازى، علم اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (د، ط)، (د، ت).
- نايف خرما وعلي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، سلسلة المعرفة، الكويت، 1988.
- يوسف الصيداوي، الكفاف (كتاب يعيد صوغ قواعد اللغة العربية)، دار الفكر، سوريا، ط1، 1999.

✓ الروابط الإلكترونية:

- <http://www.okhdood.com>، بالتلقائية أنجز الإنسان ما لا يستطيع إنجازه قسداً: د، إبراهيم البليهي.

✓ المجالات:

- سمير شريف استيتيه، ثلاثية اللسانيات التّواصلية، عالم الفكر - مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، المجلد (34)، 3 يناير / 2006.